الفصل الثانى

تعريفات ومفاهيم وأبحاث
حول التجسد والتقمص والتناسخ

obeikandl.com

obeikandl.com

«من قال أننى انتهيت؟ من قال أن هنالك فناء؟ لا ريب فى أننى توفيت عشرة الآف مرة من قبل... اسمعك تهمسين أيتها السماء، أيتها النجوم... ويا حشائش القبور.. أعى ذلك بغموض لا يدرك... فكيف أثبت أنا هذه الحقيقة بوضوح؟» كتب هذه الكلمات كاتب غير معروف، وقد تبدو كشعر فلسفى من شعر فلاسفة القدماء، ولكن بالعودة لهذه السطور والتمعن فيها وفهمها مع وضع فكرة التقمص فى الذهن، فإننا نجد الكاتب مؤمن بما يسمى التقمص أو إنتقال الروح من جسد إلى جسد بعد فناء الجسد الأول، بمعنى أن الإنسان لا يموت بل روحه تخرج وتنتقل! ذلك واضح وظاهر فى السطور السابقة بوضوح. أما الكاتب الشهير «والت وايتمان» فقد كتب شعرًا يشبه السابق، ويتعلق بقوة بظاهرة التقمص من خلال كلماته: «ماذا تظنين حدث للذين مضوا، الشبان منهم والكهول؟ إنهم احياء، فى مكان ما.. كل ذرة فى الوجود تصرخ: ما نسميه الموت، باطل!! وغير موجود.. وإذا ما وجد، فإنه يقود إلى حياة جديدة.

ما هو التقمص وماذا يعنى؟ وما الفرق بينه وبين التناسخ؟ وهل هو عقيدة يؤمن بها شريحة من الناس؟ دعونا نجيب عن كل هذه التساؤلات فى هذا الفصل مع سرد بعض المفاهيم المرتبطة بالتقمص والتناسخ والقصص الشهيرة التى رويت عن هذه الظواهر مع بعض الأبحاث العلمية المرتبطة بها.

تعريف التقمص، والفرق بين التقمص والتناسخ

التقمص عند البعض هو إنتقال الروح من جسد إلى آخر، ويمكن تعريفه بأنه: عودة المبدأ الروحى من الإنسان إلى غلاف لحمى جديد، وهذا الغلاف

يتخذ بالنسبة للإنسان دائمًا جسدًا بشريًا، ولا يمكن القول فى التقمص بإنتقال الروح إلا من جسد إنسانى إلى آخر من نفس النوع والمادة، إذ لا يسمح بتعاقب الروح إلا فى إطار الجسم البشرى. وهناك أيضًا ما يعرف بالتناسخ، فالتناسخ يعنى أن الروح جوهر خالد وأن خلودها يستمر فى حيوات لا عد لها فى سياق حياة واحدة أبدية تنقلب فى الأجسام ما دامت بحاجة لذلك.

إن التناسخ هو إنتقال النفس الناطقة من بدن إلى بدن آخر من غير تخلل زمان بين تعلقها بالأول وتعلقها بالثانى، والتناسخ عقيدة شاعت بين الهنود وغيرهم من الأمم القديمة، مؤداها: أن روح الميت تنتقل إلى وجود أعلى أو أدنى لتنعم أو تعذب جزاء على سلوك صاحبها الذى مات، وهذا يعنى أن نفس واحدة تتناسخها أبدان مختلفة إنسانية كانت أو حيوانية أو نباتية أو حتى جمادات، ويعتقد بأن الغرض من هذا التناسخ إمتحان النفس حتى تكتسب بذلك ما ينقصها من الكمال وتصبح مجردة من التعلق بالأجسام.

إن مفهوم التناسخ لم يكن واحدًا عند جميع المعتقدين به، فهم يفرقون بين النسخ والمسخ والرسخ والفسخ. فالنسخ هو إنتقال الروح من جسم إنسانى إلى آخر (التقمص)، والمسخ هو الإنتقال من جسم إنسانى إلى بدن حيوانى، والفسخ هو إنتقال إلى نبات، أما الرسخ فهو الإنتقال إلى جسم معدنى أو جماد. من هنا فإن التقمص والتناسخ يختلفان فى سير وسبب وغاية هذه الحركة، فالمادة الوسيطة التى تنتقل منها وإليها الروح فى التناسخ تختلف عن تلك التى تنتقل بالإرتقاء من مكون جمادى إلى نباتى فحيوانى فإنسانى، وأما التقمص فلا يمكن القول بإنتقال الروح إلا من جسد مادى إنسانى إلى آخر من نفس النوع والمادة.

وسوف أركز فى كتابى هذا عن التقمص أو التجسد الإنسانى، وفى بحث تفسيرات هذه الظاهرة إعتمادًا على دراسة الباحث الثيوصوفى «جان لويس سيمونس» فى كتابه شهادات وبراهين على التقمص.

تفسيرات التقمص (التجسد المختلفة)

• التفسير البديهى

والذى ينتقل إليه العقل المتشكك للإنسان بديهيًا وهو أن «النطاق» إستعادة ذكريات الطفولة المنسية إلى السطح فى ظروف وأحداث معينة، مما يوحى للإنسان بأنه عاش حياة سابقة، ولكن هذه الذكرة فى الحقيقة ليست سوى الماضى الكامن للإنسان نفسه.

• التفسير النفسى

ويتعلق بطرح الشخصية الحقيقية لشخصية وهمية فى الحلم نتيجة الضغط النفسى الذى يعانيه الإنسان نفسه، مما يوحى له وهما بأنه شخصية مختلفة فى حياة ماضية.

• التفسير العلمى

بحسب العالم الفيزيائى الفرنسى «جان شارون» فإن هناك ذاكرة كونية، هى عبارة عن سلسلة متواصلة من الأحداث والترابطات بين أفراد البشرية قاطبة، وهى نوع من اللاوعى الجمعى، فقد يحصل أحيانًا أن شخصًا ما لديه حساسية مرهفة يتلقى عن غير وعى منه الإسقاطات النفسية والفكرية لإنسان مات منذ زمن بعيد عن طريق النور الكوكبى المحيط بكوكب الأرض (حيث يعتبر هذا النور هو المستودع لكل أحداث كوكبنا بما فيها أحداث حياة جميع من وطئ هذه الأرض منذ بدء الخليقة) وهذه الإسقاطات توحى بأنها ذكريات للشخص نفسه الذى يعتقد أنه كان شخصًا آخر فى زمن ماض.

• التفسير الباراسيكولوجى

وهو ما يعرف باسم «الإدراك الحسى الفائق» وهى قدرة الإنسان بواسطة احاسيسه المرهفة الفوق طبيعية، على إلتقاط أحداث تاريخية حقيقية جرت لأشخاص عاشوا على كوكب الأرض فى أزمنة تاريخية مختلفة وبالتالى إعتقاده إنها أحداث تخصه هو بالذات وعاشها فى حياة سابقة. ومن المعروف

علميًا إستحالة اندثار أية ذرات أو أصوات أو أشعة فى الكون مهما امتد الزمان بها. فإن أى فكرة تخطر فى الذهن ينتج عنها إهتزازات تبقى إلى الأبد محيطة بكوكب الأرض، بالتالى فإن الإنسان الذى يتمتع بقدرة إحساس فى أحلامه والإيمان «يقينًا» إنها تخصه هو بالذات.

• التفسير التخاطرى

وهو إلتقاط أفكار اشخاص معينين واعتناقها، وكأنها أحداث ماضية لحياة سابقة ويدخل ضمن هذه الأمور أيضًا قدرة الاستبصار والتنويم المغناطيسى، حيث يدعى الشخص تحت تأثير التنويم المغناطيسى بأنه كان شخصًا آخر فى حياة سابقة، لكن الأمر يختلف تمامًا عما يحصل فى الواقع إذ أن الشخص المنوم فى هذه الحالة يتلقى لا واعيًا أفكار الوسيط أو أحد المحيطين به، ويقوم الذهن بالتالى بتأليف قصة فى بعض الأحيان وهمية تستند إلى بعض المعطيات الحقيقية التى تسبب توهم التقمص.

• التفسير الروحانى

رائد الباحثين الروحانيين فى هذا المجال هو «الان كاردك» الذى يدعى إمكانية إجراء إتصالات روحية مع الموتى، لكن هذه النظرية مستحيلة ـ إلا فى حالة إستثنائية جدًا ـ لأن الإتصال الروحى للوسيط مع الميت سيسبب قراءته (لاواعيًا) أحداث حياة هذا الميت، وبالتالى اسقاط هذه الأحداث عليه وانتحاله شخصيته، وكأنها ذكريات لحياة ماضية توحى بأنها دليل على التقمص.

• التفسير الثيوصوفى

تعتبر السيدة فلامنسكى مؤسسة الجمعية الثيوصوفية الدولية الأدعاء بأن شخصًا ما تقمص أو تجسد لنابليون مثلًا ادعاء باطل، لسبب وجيه جدًا، ألا وهو أن المدة التى تمتد بين الموت والتقمص، أو العودة للتجسد من جديد، طويلة جدًا بالنسبة للإنسان العادة، إذ تتراوح بين ١٠٠٠ ـ ١٥٠٠٠ عام تقريبًا ـ و٣٠٠٠ عام عند بعض الشعوب ـ وفى حالتنا هذه فإن موت نابليون لم يمر عليه زمن كاف لكى يدعى أحدهم بأنه كان نابليون فى حياته السابقة وقد عاد

للتقمص من جديد. (الثيوصوفية: علوم تتضمن العلوم والفلسفة والدين كانت نشرت عن طريق هيلينا بلافنسكى).

• **القرين**

من المعروف أن الدين الإسلامى أكد وجود القرين ووصفه على أنه نوع من الجنى يلازم حياة الشخص ويبقى بعد مماته (حيث إن عمر الجن أطول من عمر الإنس)، فقد يحدث (والله أعلم) أن يقوم قرين الشخص المتوفى بالتلبس على شخص آخر حى بما يدعى بظاهرة «المس الشيطانى» حيث يقوم القرين بنقل ذكريات الشخص الأول إلى الشخص الثانى، خصوصًا إذا كان الشخص صغيرًا فى السن وفى مرحلة ما قبل البلوغ وذلك أن الأطفال يمتلكون شفافية أكبر تجاه المؤثرات الخارجية ولديهم جاهزية أعلى لتلقيها، وهذا ما نراه فى غالبة حالات التقمص.

العلامات التسعة المتعارف عليها لمعتقد التجسد أو التقمص

لقد أجمع الباحثون فى مجال التجسد على أن هناك علامات تدل على التجسد وعلى وجود حيوات سابقة للإنسان، وهى موجودة فى جوانب معقدة تؤلف شخصيتنا الحالية من الناحية الجسدية والعاطفية والذهنية وسوف أذكر لكم بعضها:

• **ديجافو Deja Vu**

معظمنا إختبر إحساسًا غريبًا عن حالة ديجافو، هو إحساس مذهل عن حادثة تجرى أمامنا فى هذه اللحظة وكانت قد حدثت بالظبط من قبل هذا. لقد قسم عالم النفس (آرثر فنكهاوس) هذه الظاهرة إلى ٣ أشكال وهى:

• ديجافيسو: حادثة سبق إختبارها أو عيشت مسبقًا.

• ديجاسنتى: حادثة سبق الإحساس بها ولكن أظهرها أمر ما مثل سماع صوت أو موسيقى أو شم رائحة... إلخ.

• ديجافيزيت: مكان مألوف نشعر أننا زرناه مسبقًا.

وبينما يصر العلماء والأخصائيون النفسيون على أن هناك تفسيرات عصبية لهذه الظاهرة، فإن الآخرين يتساءلون فيما إذا كانت تلك الأحاسيس الغريبة هى ذكريات غير واضحة أو عائمة من حياة ماضية. على سبيل المثال، عندما تدخل منزلًا أو مبنى أو بلدة لم يسبق لك أن زرتها، وتجد مع ذلك تفاصيل المكان مألوفة لك، وحتى أنك تعلم ما فى الغرفة التالية والغرفة التى تقع أعلاها عندئذ سيغمرك شعور بأنك كنت هنا، فهل كان ذلك فى حياة ماضية؟..

• **ذكريات غريبة**

يتحدث (ستيفن واجنز) باحث الما ورائيات فى شبكة (أباوت About) عن ذكريات تعتقد ابنته إنها حصلت لها فى طفولتها رغم أنه يعلم يقينا إنها لم تحدث مطلقًا لها: هل هو خيال الطفولة الخصب؟ أو سوء إدراك أو ترجمة لأحداث حصلت معها؟ أم إنه حلم فسرته على أنه واقع فى ذهنها؟ أم هى تتذكر شيئًا حدث لها قبل ولادتها فى هذه الحياة؟ فى الواقع ذاكرة الإنسان معرضة للوقوع فى الخطأ والتضارب. وأنا متأكد أن العديد منا لديه ذكريات عن اشياء تؤكد عائلاتهم إنها لم تحدث مطلقًا، ويبقى السؤال هل يمكن أن تكون الذاكرة المتضاربة منقولة عن حياة ماضية؟..

• **أحلام وكوابيس**

يرى البعض أن الأحلام والكوابيس المتكررة تعنى ذكريات من الحياة الماضية وقد يختبر بعض الأشخاص ذلك النوع من الأحلام المتكررة ويرى فى حلمه أماكن لم يزرها فى حياته الراهنة وتفاصيلها واضحة ومتكررة.

• **المخاوف والرهاب (فوبيا)**

من أين أتت مخاوفك وأشكال الرهاب التى تشعر بها؟ كالخوف من أشياء كالعناكب أو الأفاعى أو الخوف من المرتفعات التى يبدو إنها مخاوف كامنة فى نفسية الإنسان كجزء من غريزة البقاء المتطورة فينا. ويعانى العديد من الناس من

أشكال الفوبيا التى لا تبدو منطقية على الإطلاق، كالخوف من الماء والطيور والأرقام والمرايا والنباتات وحتى من ألوان معينة.. واللائحة تطول، وإناس يعانون من كافة أشكال الفوبيا الشاذة. ورغم أن عدة سنوات من جلسات العلاج النفسى قد تنفع فى إيجاد سبب هذه المخاوف الشاذة فإن أولئك الذين يؤمنون بالحياة الماضية يتساءلون فيما إذا كانت تلك المخاوف قد نقلت إليهم من حياة سابقة. فمثلًا هل يشير الخوف من الماء إلى موت سابق نتيجة الغرق؟ وهل يعنى الخوف من لون معين بأن الشخص لقى حتفه دهسًا بسيارة من نفس اللون؟

• الإنجذاب الشديد إلى ثقافة أجنبية

يحتمل أن تعرف شخصًا قد ولد وترعرع فى بلدك إلا إنه يكن حبًا كبيرًا لبلد آخر، إذ يستحوذ عليه إهتمام كبير بثقافة هذا البلد الآخر، ويحدث أن تعرف أيضًا شخص لا يفكر إلا فى أن يلبس أو يمثل طريقة ما أشتهر بها زمان أو حقبة ما. وفى كل بلد على وجة الأرض تجد بعض الناس يحاولون تقليد ثقافة ما سواء أكانت قديمة أم حديثة من غير أن نجد سببًا منطقيًا لتعلقهم بها، وربما يكمن السبب أنهم عاشوا فى زمن ثقافة سابقة تشبهها قبل ١٠٠ سنة أو حتى ١٠٠٠ سنة!

الشغف

من الجيد أن يكون لدى الإنسان شغف فى أمر يبدع فيه طالمًا أنه لا يصبح مستحوذ عليه، شغف يمكن أن ينصب على المطالعة والفنون وإقتناء الأغراض القديمة من الآثار والموضة والإهتمام بالحديقة والمسرح والسيارات والقطارات والطائرات والماورائيات أو أى شغف متعددًا منها مثلًا. وقد يكون الإهتمام الشديد بموضوع بحد ذاته طبيعيًا بالكامل، لكن المؤمنين بالحياة الماضية قد يرون فى بعض الحالات صلة مع حياتهم الماضية.

عادات لا يمكن التحكم بها

تعد العادات الغير متحكم بها أو التى تتملك المرء جانبًا مظلمًا من أشكال

الإدمان أو الشغف. فهى تهيمن على حياة الناس وتهمشهم فى المجتمع، ويندرج الوسواس القهرى ضمن هذه الفئة. فمثلًا: رجل عليه أن يطفئ النور ويشعله مرارًا عشر مرات مثلًا قبل أن يغادر الغرفة، أو إمرأة تجمع الصحف وتضعها فى حزمة بطول ٦ أقدام فى منزلها فقط لأنها لا تستطيع تحمل فكرة التخلص منها. كل منا لديه عادة سيئة واحدة على الأقل، بدءًا من عادة قضم الأظافر إلى نشر الإشاعات والتسويف، لكن الحالات الأكثر تطرفًا تشمل الإدمان على كل شىء مثل مشاهدة التليفزيون إلى المسكرات والمخدرات. ومرة أخرى، هناك تفسيرات نفسية لهذه السلوكيات الغير منضبطة أو المتحكم بها، إلا أن المؤمنين بتناسخ الأرواح يرون أن هذه السلوكيات متجذرة فى الحيوات الماضية.

الآم لا تفسير لها

هل أصابتك الآم لم يستطع الأطباء معرفة سببها أو إيجاد تفسير طبى لها؟ ربما يعتبرونك مصابًا بوسواس الآلآم متوهمًا أياها، لكن المؤمنين بمعتقد الحياة الماضية سيرون فيها دليلًا على حياة ماضية. فالآلآم والتشنجات والإلتهابات الغامضة وغيرها قد تكون إنعكاسات عن أشكال المعاناة التى تعرضت لها فى وجودك السابق.

وحمات

توصف الوحمات عادة كدليل على تناسخ الأرواح. ففى حالة مذهلة زعم صبى هندى أنه يتذكر حياة رجل اسمه (ماهارام) الذى قتل بطلق نارى من على مسافة قريبة. ولدى هذا الصبى صف من الوحمات فى مركز صدره تشبه التعرض لرشة من الطلقات. وفى الواقع جرى التحقق من هذه القصة، وبالفعل كان هناك رجل اسمه (ماهارام) كان قد قتل برشات من الطلقات أصابت صدره. وأشار تقرير الطب الشرعى أن أماكن جراح الصدر تتطابق مباشرة مع أماكن الوحمات على صدر الصبى. وفى حالات مشابهة تعتبر التشوهات والعلامات الجسدية الفارقة الأخرى أدلة على حياة ماضية.

أبحاث د. ستيفنسون حول التقمص والتناسخ

ولد «آيان ستيفنسون Ian Stevenson» فى كندا عام ١٩١٨م، درس الطب وتخرج الأول على دفعته، بعدها توجه نحو علم النفس فتخصص فيه وبرع حتى عين رئيسًا لقسم علم النفس فى جامعة فيرجينيا بالولايات المتحدة الأمريكية. أسس وترأس (قسم الدراسات المتعلقة بالذات Peronalities Studies). توفى ستيفينسون عام ٢٠٠٧. فى عام ١٩٦٤ هجر ستيفينسون دراساته فى علم النفس ليتفرغ كليًا للبحث فى تناسخ الأرواح وظواهر فارقة أخرى، فأمضى أربعين عامًا من حياته فى توثيق علمى شاق لشهادات الأطفال الذين تحدثوا عن عيشهم لحياة سابقة، وسافر فى سبيل ذلك بشكل مكثف فى شتى أصقاع العالم من الهند شرقًا ومرورًا بتركيًا ولبنان وأفريقيا وإنتهاء بألاسكا غربًا. كان سفره كثيرًا لدرجة أنه بين عامى ١٩٦٦ و ١٩٧١م كان يقطع أكثر من ٥٥ ألف ميل فى العام. كانت حصيلة هذه الأربعين عامًا هى توثيق أكثر من ٣٠٠٠ حالة، معظمها ما تزال قابعة فى ملفات دون أن تدرس بسبب نقص فى المال وفى الباحثين. كانت غالبية الحالات التى وثقها ستيفينسون هى من ثقافات فيها إعتقاد بتناسخ الأرواح، وهو أمر اعتبره المشككون فادحًا فى مصداقية هذه الشهادات، إلا أن ستيفينسون رد على ذلك بقوله بأنه فى هذه الثقافات يتم التعامل بجدية أكبر مع أهل الأطفال الذين يتحدثون عن حيوات سابقة، ولذلك يقوم أهل الطفل بالتحقق من إدعاءات أقوال الطفل، فى حين أن الحالات المماثلة فى الغرب يتم إعتبارها من قبل أهل الطفل على إنها مجرد تخيلات (Fantasies).

يقول ستيفينسون بأنه أحيانًا يتلقى رسائل تقول: "ليتنى كنت أعرف بأمرك حين كان ابننا تومى يخبرنا وهو فى الثالثة من عمره بأنه كان طيارًا، فكنا نأمره بأن يتوقف عن الكذب. الآن هو لا يتذكر شيئًا. وكان هذا النقد حافزًا لستيفينسون لينشر كتابًا عن أربعين حالة لأطفال فى أوروبا حيث لا يوجد أى إعتقاد بتناسخ الأرواح. وقد نشرت ابحاث ستيفينسون عن التناسخ فى مجلات علمية مرموقة من بينها المجلة الأمريكية لعلم النفس، وقد شهد ثلاثة من المعلقين العلميين فى هذه المجلات لستيفينسون بأنه اتبع المنهجية العلمية بصرامة فى دراسته،

ومن أحدث هذه الشهادات الثلاثة شهادة (جانيس هوبكنز Janice Hopkins) فى المجلة البريطانية الطبية British Medical Journal عام ٢٠٠٧م.

وفى عام ١٩٧٧م خصصت مجلة الأمراض العصبية والعقلية (The Journal of Nervous and Mental disease) معظم إحدى إصداراتها كان بعمل ستيفينسون البحثى، وفى إفتتاحية هذا الإصدار شرح الطبيب النفسى (يوجين برودى Eugane Brody) السبب وراء نشر بحث قد يعتبر غير علمى بالقول: «المصداقية العلمية والشخصية للمؤلفين. صحة منهجية البحث والتطابق بين طرق إستنتاجهم وبين معايير التفكير المنطقى. وتحدثت المجلة الأمريكية لعلم النفس (American Journal of Psychiatry) عام ٢٠٠٥م واصفة إحدى كتب ستيفينسون بأنها «مثال مهم على التطبيق وبروتوكول شاق يمحص الحقائق عن الخيال».

ولقد إخترت هذا العالم الفذ كنموذج مثالى لدراسة هذه الظاهرة المدهشة ونقلها من خلال كتابى هذا من عالم القصص والأساطير الخرافية إلى عالم التوثيق العلمى، فهو ليس مجرد صحفى أو هاو مهتم بالماورائيات، بل بروفيسور فى علم النفس، ترأس دوريات علمية مرموقة وألف كتابين فى علم النفس. أنه رجل موثوق به فى نزاهته وفى أهليته العلمية للقيام بمثل هذه الدراسة التى أعرضها فى كتابى هذا وفقًا للضوابط والمنهجية العلمية التى ألتزم بها أنا شخصيًا كباحث فى المجال الطبى.

لذلك قال «هيربرت ريبلى» الرئيس السابق لقسم علم النفس فى جامعة واشنطن فى سياتل: «نحن محظوظون لكون شخص بهذه الإمكانية والنزاهة العالية قد تولى البحث والتنقيب فى هذا المجال المثير للجدل. وبالفعل ظهرت ثمرة هذه النزاهة والأهلية العلمية فى كتبه التى ضم فيها شهادات لأطفال تذكروا حيوات سابقة، موثقة بشكل مفصل وعلمى مثير للأعجاب، وعرض فى كتبه إستنتاجاته وتحليلاته لهذه الشهادات، فكان ستيفينسون صارمًا و دقيقًا فى تطبيقه للمنهجية العلمية فى بحثه، وحياديًا لدرجة تدعو للعجب، فمن خلال عنوان أبرز كتبه وهو «عشرون حالة توحى بالتجسد Twenty Cases Suggestive

of reincarnation»، نلاحظ أنه قال «توحى» ولم يقل «تثبت»، لأنه كرجل علم نزيه التزم بما تمليه منهجية البحث العلمى من أن «البرهان» أو «الدليل الحاسم» له ضوابط وشروط صارمة، فرأى ستيفينسون أن هذه الشروط الصارمة لم تتحقق فى حالات الأطفال التى درسها، لذلك قال عنها بأنها حالات تشير إلى إمكانية حدوث التجسد، لا تبرهن على ذلك، فالأدلة التى لديه هى كما يقول «تسمح، ولا تلزم بالإعتقاد بالتجسد».

وهكذا فإن النتيجة التى وصل إليها ستيفينسون هى أن الحالات التى وثقها لا تثبت التجسد بل تسمح للإعتقاد بإمكانية حدوثه على إعتبار أنه أفضل تفسير للحالات. إلا أن الكثيرين ممن قرأوا أعمال ستيفينسون قد يصلون إلى حكم أقوى من الذى وصل إليه ستيفينسون نظرًا لقوة الأدلة وكثرتها، ومن بين هؤلاء استاذ الفلسفة فى جامعة جورجيا «روبرت الميدر Robert Almeder» صاحب المؤلفات الكثيرة فى الإبستمولوجى وفلسفة العلم، حيث قال: «بدأت أقرأ الكتاب وقلت لابد أن يكون هذا خاطئًا، وكلما قرأت أكثر أدركت أن ما كتبه مهم، وأنه بحث جيد مبنى على الملاحظة والإختبار وأنتج إستفهامًا علميًا، ولم أجد تفسيرًا بديلًا مناسبًا للبيانات بقدر القول بأن بعض الناس يتجسدون. البعض قال ربما ليس من غير المعقول أن تعتقد بأن البعض يتجسد، ستيفينسون قال ذلك أيضًا لأن التجسد هو أفضل تفسير للبيانات الواردة بهذا الكتاب، وأقول بأنه من غير المنطقى ألا تعتقد بالتجسد. البعض قال بأن ادعائى هذا متطرف، ما عنيته كان ببساطة هو إن كان لديك برهان قوى جدًا لا تقدر على دحضه، فإن عدم القبول بهذا البرهان يكون تصرف غير عقلانى».

إلا أن هذا الفيلسوف هو بين قلة قليلة من المجتمع العلمى قبلت بالنتيجة التى توصل إليها ستيفينسون، فغالبية المجتمع العلمى تجاهل عمل ستيفينسون على الرغم من قوة الأدلة. فبالنسبة للمجتمع العلمى فإن التجسد، مثله مثل الظواهر الماورائية الأخرى، يقع فى حيز الخرافات والأكاذيب والنصب والإحتيال، جنبًا إلى جنب مع قراءة الكف والسحر والشعوذة والبيوت المسكونة والتلبس وقصص الأشباح وغيرها، لذلك يترفع العلماء عن الإعتقاد بأمور ما ورائية

خارقة، ويتركون هذه الأمور للعامة والبساط والجهال، وحتى لو إعتقد عالم ما بظاهرة ما ورائية فإنه سيفكر مئة مرة قبل أن يعلن عن ذلك على الملأ لما فى ذلك من مخاطرة بسمعته ورصيده العلمى، ففى المجتمع العلمى كلما كنت ماديًا أكثر كلما إرتفع رصيدك، أما إذا ظهر منك ميل للقبول بظاهرة خارقة ما فإن هذا يحط من شأنك وقدرك كثيرًا.

مشكلة العلم مع التجسد والماورائيات عمومًا

المادية

المادية هى دين العلم اليوم، وقد ساهمت نظرية التطور بشكل كبير فى ترسيخها، فالإنسان ليس سوى مواد كيميائية تجمعت وتنظمت بهذا الشكل المعقد الذى عليه الإنسان اليوم بفضل تطور بطئ وطويل دام مئات الملايين من السنين، فكل شىء يتعلق بالإنسان هو مادى بلا روح. كذلك غرزت الدراسات المتعلقة بالدماغ الإعتقاد بأن الوعى ينتج عن الدماغ، فعرفنا فى الدماغ مراكز للمهمات المتعددة وللعواطف واللغة وغيرها، ورأينا كيف تفعل بعض المواد الكيميائية فعلها فى الدماغ فتؤثر فى شخصية الفرد، فالعلم يتساءل بوضوح: أين الروح إذا؟

هـذه الماديـة الراسخـة والمتجـذرة فى المجتمـع العلمى تؤدى إلى عدم الإهتمام بدراسة مثل دراسة ستيفينسون تخالف كل ما هم عليه من مسلمات.

السمعة السيئة للماورائيات ومدعى إمتلاك القدرات الخارقة

إكتسب عالم الماورائيات سمعة سيئة لكثرة ما فيه من حالات كذب وخداع ونصب وإستغلال، بحيث أصبحت بعض هذه الخوارق أساسًا لتجارة تدر أرباحًا خيالية، فنجد فى الغرب أشخاصًا يتقاضون أجرًا مقابل أن يجعلك تتواصل مع عزيز ميت لك، أو مقابل أن يقرأ كفك ويخبرك بما سيحدث لك،

وتجد لدينا فى عالمنا الإسلامى والعربى البائس تجارة رابحة ومزدهرة إسمها الرقية وفك السحر وطرد الجان المتلبس بالإنسان وغيرها من تجارات رابحة تدر الأموال الطائلة على أصحابها. إن العدد الكبير من حالات الإستغلال المبنية على الإيمان بالماورائيات أو ادعاء القدرات الخارقة جعلت من ادعياء الخوارق فى نظر العلماء فى محل إتهام حتى تثبت براءتهم، وجعلت من يصدق شخصًا ادعى قدرة خارقة شخصًا «درويشًا» تم خداعة وإستغفاله. وبالتالى حين يسمع العلمى التقليدى أن طفلًا تذكر حياة سابقة وتم التأكد من صحة معلوماته من الشخصية السابقة، فإن أول ما يفترضه هو أن الأمر عبارة عن إحتيال قادة الأبوان عبر إقناع طفلهم بأنه كان شخصًا آخر، وزودوا طفلهم بمعلومات عن شخصية حقيقية ميتة، وفى النهاية يصير لدينا طفل قادر على تقديم رواية مدهشة فيشتهر أمره ويحقق الوالدان مصلحة ما من وراء ذلك.

إنه هذا المزيج القاتل من مخالفة الماورائيات للمادية السائدة لدى العلماء، والسمعة السيئة التى إكتسبتها هذه الماورائيات، هذا المزيج هو الذى يجعل العالم يأنف الإلتفات إلى الماورائيات، ويرى الإهتمام بها أو تبنيها قدمًا فى مكانته العلمية ونزولًا منه إلى مستوى البسطاء والجهال والدراويش الذين تكثر بينهم قصص الخوارق والجن والأشباح، وقد يقال عنه من قبل زملاءه العلماء بأنه درويش وقع ضحية إحتيال، لذلك فإن العالم لا يكترث فقط بالماورائيات بل يخشاها أيضًا، ونتيجة لذلك لا يكترث المجتمع العلمى بالدراسات المتعلقة بالماورائيات، ومن بينها دراسة ستيفينسون.

وهذا فى الحقيقة هو ما أزعجه ستيفينسون، فستيفينسون قال بأن ما أزعجة ليس تجاهل الناس لنظرياته، بل ما أزعجه هو أن قلة قليلة فقط كلفت نفسها عناء الإطلاع على أدلته التى بذل جهدًا كبيرًا فى تجميعها. فالغالبية من العلماء لم تكلف نفسها عناء الإطلاع على بحثه لأنه خارج نطاق إهتماماتهم تمامًا. وهكذا نصل للإجابة على هذا السؤال: إذا كان ما قدمه ستيفينسون يعتبر دليلًا علميًا على إمكانية التجسد، فلماذا إذا لا نجد أى قبول فى المجتمع العلمى للنتائج التى توصل إليها هذا العالم الجليل؟ الجواب: لأن غالبية المجتمع العلمى لم

يطلع اصلًا على هذه الدراسة، ومن إطلع عليها لم يمتلك الشجاعة ليقبل ما تتضمنه الدراسة من نتائج تتصادم مع المادية، نتستطيع أن نلحظ غياب هذه الشجاعة فى مواقف بعض من اطلع على دراسة ستيفينسون، مثل ما قاله الطبيب النفسى «هارولد ليف» فى مجلة الأمراض العصبية والعقلية: «إما أن ستيفينسون يرتكب خطأ هائلًا، أو أنه سيصبح معروفًا بجاليليو القرن العشرين».

ومثله قول المفكر المادى المعاصر «سام هاريس» عن هذا الموضوع: «إما إنه وقع ضحية خدعة محكمة، أو أن هناك شيئًا مثيرًا للإهتمام يحدث». نلاحظ فى هذين التصريحين حالة التردد التى منشؤها قوة أدلة ستيفينسون من جهة ومصادمتها للمسلمات المادية السائدة من جهة أخرى، فينتج مثل هذا التصريح من هاريس الذى ترك الأمور المعلقة دون حسم، فإما أن ستيفينسون مخدوع أو أن ما يقوله صحيح. ومثله موقف عالم الفلك المادى المعروف وصاحب المؤلفات العلمية المبسطة للعوام «كارل ساجان»، الذى رأى أن الدراسة لم تقدم إثباتًا على التجسد، ولكن ساجان فى كتاب له عن تفنيد الماورائيات قال «أن هناك ثلاث ظواهر تحتاج لمزيد من الدراسة وقد تكون ظواهر صحيحة، وقال بأنها ظواهر لها شىء من التأييد التجريبى، من بين هذه الظواهر الثلاثة: «أطفال صغار يخبرون عن تفاصيل متعلقة بحياة سابقة، وحين يتم التحقق يتبين أنها تفاصيل متعلقة بحياة سابقة، وحين يتم التحقق يتبين أنها تفاصيل صحيحة ولم يكن يمكن معرفتها بأى طريقة أخرى غير إنه عاد مرة أخرى لهذا التردد الذى منشؤه قوة دليل ستيفينسون من جهة والمكابرة المادية من جهة أخرى. إذا أردت أن تعرف ما هى هذه الأدلة القوية التى جعلت عتاة المادية كهاريس وساجان يتخبطون فى مواقفهم، فسوف أروى لاحقًا امثلة من هذه الأدلة الواضحة على حقيقة ظاهرة التجسد وبعض القصص الحقيقية المروية بشأن هذه الظاهرة.

يقول ستيفينسون: «البالغون يتحدثون أحيانًا عن تذكرهم لحيوات سابقة، إلا أن شهاداتهم، ومع بعض الإستثناءات النادرة، قيمتها أقل بكثير من شهادات الأطفال، ومعظم شهاداتهم عديمة القيمة فى نظرى، هذا لأنه فى حالة طفل فى

الثانية أو الثالثة من عمره فإنه يمكن الوصول إلى أحكام معقولة ومرضية فيما يتعلق بكمية المعلومات التى إكتسبها الطفل، ولكن على العكس فإن البالغ أو حتى الطفل الأكبر سنًا يكون عقله مملوءًا بكمية كبيرة من المعلومات والتى تصبح متوفرة لتشكيل مكونات شخصية سابقة متخيلة، وبناء على ذلك فقد ركزت جهودى على شهادات الأطفال الصغار».

يقوم ستيفينسون بإجراء المقابلة مع الطفل وعائلته وأقاربه، يتحقق من مصداقية أقوالهم ويقارن بينها، ويحاول إكتشاف أى نوع من التضارب بين الأقوال. ثم يحاول قدر الإمكان أن يحصل على رواية الطفل الأصلية قبل لقائة بعائلة الشخصية السابقة وذلك لإستبعاد أى شوائب، وفى بعض الأحيان يكون أحد والدى الطفل قد دون أقوال الطفل قبل حدوث اللقاء بين العائلتين فيشكل ذلك فائدة مهمة للبحث. يرفض ستيفينسون شهادات الشهود من الدرجة الثانية ويقبل فقط من الذين سمعوا من الطفل مباشرة، ثم يجرى بشكل سرى مقابلات مع سكان من القرية أو المنطقة لا علاقة مباشرة لهم بحالة الطفل ليحصل على معلومات محايدة عن عائلة الطفل. بعد ذلك ينتقل لمقابلة أفراد أسرة الشخصية السابقة المتوفاة، ويسجل معلوماتهم وينظر فيما توفر من وثائق خاصة بالمتوفى مثل التقرير الطبى للوفاة.

بعد عدة أشهر أو سنوات يقوم ستيفينسون بزيارة مفاجئة لعائلة الطفل ليجرى مقابلات مرة أخرى ويطرح أسئلة طرأت له خلال بحثه فى ملف الحالة، وقد يعيد الزيارة مرة ثالثة. وفى حالة كون الطفل يتحدث بلغة لا يجيدها ستيفينسون ـ الذى يجيد خمس لغات ـ فإنه يستعين بمترجمين أثنين، وأحيانًا ثلاثة. بالإضافة إلى ما يدونه فإنه يجمع صورًا وأدلة مادية كالتقارير والعلامات على جسد الطفل عند ولادته. بعد المقابلة بعدة أيام يقوم ستيفينسون بتنظيم ما دونه من ملاحظات ويبنى تسلسلًا زمنيًا لذكريات الطفل، باحثًا عن أى عيوب أو فجوات فيها. من بين الثلاثة الآف حالة التى وثقها ستيفينسون، كان هناك ٨٠٠ حالة تم إثبات صحتها، وهى الحالة التى يتم فيها التأكد بعد تحقيق مكثف أن الطفل لم تكن لديه أيه وسيلة ممكنة

وطبيعية يمكن أن يعلم عبرها بشأن الشخصية السابقة التى تذكرها، فيصبح بذلك التفسير الوحيد المقبول هو ذكرى من حياة سابقة.

لوحظ وجود سمات مشتركة أو أنماط فى شهادات الأطفال الذين تذكروا حياة سابقة، هذه السمات المشتركة هى:

عادة ما يبدأ الأطفال حديثهم عن حيواتهم السابقة بين سنى الثانية والرابعة، ثم يبدأ التراجع عن التحدث فى ذلك من سن الخامسة، إلى أن يتوقف تمامًا بين سنى السابعة والثامنة. وقد فسر ستيفينسون ذلك بأن الطفل قبل سن الثانية أو الثالثة لا يملك القدرة على الحديث، وبعد سن الخامسة أو السادسة وبدء ذهابه إلى المدرسة تبدأ حياته تمتلئ بالأحداث فينشغل ويبدأ بنسيان ما يذكره عن حياته السابقة.

كثرة حالات الوفاة «العنيفة» للشخصية السابقة، كأن يموت نتيجة حادث سير أو جريمة قتل، ولوحظ أيضًا أن الطفل يقدم صورة واضحة عن حيثيات وفاته العنيفة هذه. وقد فسر ستيفينسون هذا الأمر بأن الوفاة حين تكون غير تقليدية وعنيفة فإن هذا يساعد على تذكرها، فيتمكن الطفل من تذكرها ويتذكر معها حياته السابقة، مثلما أن الإنسان فى حياته العادية ينسى الأحداث العادية ولكن تعلق فى ذهنه الأحداث الإستثنائية فيتذكرها بشكل أقوى من الأمور الأخرى.

سلوكيات وتصرفات غير تقليدية من الطفل مرتبطة بالحياة السابقة التى تذكرها. معظم الأطفال الذين يتذكرون حيواتهم السابقة يتحدثون عن شخصيتهم السابقة بإنفعال وعاطفية، وغالبًا هم لا يتمكنون من معرفة أى حياة من الحياتين هى التى يعيشونها الآن، فيعانون من «وجود مزدوج» بحيث فى أحيان تكون أحدى الحياتين أكثر حضورًا، وفى أحيان أخرى تطغى الحياة الأخرى عليه، لذلك هؤلاء الأطفال دائمًا ما يتحدثون عن حيواتهم السابقة بزمن المضارع قائلين على سبيل المثال: «أنا لدى زوجة وطفلين يعيشون فى تلك المدينة». ويقول ستيفينسون فى ذلك: «كنت أتوقع أن تكون الحالات مقتصرة على

تصريحات عن الحياة السابقة يعبر عنها الطفل بشكل محايد، ولكن بدلًا من ذلك وجدت أن الأطفال غالبًا ما يتحدثون مظهرين عاطفة قوية تجاه الحياة السابقة، وبدوا أحيانًا وكأنهم ما يزالون يعيشون فى الماضى، بالنسبة لهم بدى حاضرًا وليس ماضيًا، على سبيل المثال كان هناك طفل لعائلة متواضعة الحال تحدث عن أنه كان من الطبقة الراقية فى حياته السابقة، فكان الطفل يبدى سلوكًا متكبرًا تجاه عائلتة لدرجة أنه أحيانًا يرفض أن يأكل طعامهم قائلًا بأنه طعام ملوث». ويقول أيضًا: «الأطفال الذين درسناهم عادة ما يتصرفون وكأنهم قد نقلوا بدون سابق إنذار من جسد شخص بالغ إلى جسد طفل. أحد الأطفال الأتراك فى دراستنا حين بدأ يتحدث، فإنه تقريبًا أول شىء قاله كان: «ما الذى أفعله أنا هنا؟ أنا كنت فى المرفأ».

لاحقًا وصف هذا الطفل تفاصيل حياة عامل مرفأ كان نائمًا فى سفينتة فسقط عليه برميل نفط ثقيل فمات على الفور. مثل هذه الحالات تذكرنى بحالة أمرأة تعرضت لجلطة بينما تلعب الورق، حين أفاقت من غيبوبتها بعد عدة أيام كان أول ما قالته هو: «ما هى الأوراق الرابحة»؟

الطفل من هؤلاء يميل إلى إعتبار الأبوين السابقين هما الأبوين الحقيقين بدلًا من الأبوين الحاليين، وعادة ما يعبر عن رغبته بالعودة إلى أبويه السابقين. لذلك يرى ستيفينسون أن تذكر الحياة السابقة هو أمر سلبى أكثر من أن يكون إيجابى. فيقول: هؤلاء الأطفال مشوشون بين ولاءات منقسمة، ففى الكثير من الحالات رفض الطفل والديه قائلًا بأنهما ليسا والديه الحقيقيين، وفى حالات أخرى يصر الطفل أو الطفلة على العودة إلى زوجته أو زوجها وإلى ابنائه.

فى إحدى الحالات كان ولد هندى متعلقًا بشدة بأمرأة قال بأنها كانت حبيبته فى حياة سابقة، فراح يحاول أن يعود إليها، الأمر الذى سبب لهما محنة حقيقية. أما حين يتعرف والدا الطفل على عائلته السابقة ويلتقى الطفل بها فإنه حينئذ يتصرف تجاههم بشكل مدهش كأن تكون الطفلة مذعنة لزوجها السابق، أو يتصرف الطفل كراع ومسئول مع من كان أخاه أو أخته الصغرى على الرغم

من أنهما الآن يكبرانه بكثير، أو تتصرف الطفلة كأم مع من كانوا أبناءها فتملى عليهم الأوامر والتوجيهات على الرغم من أنهم يكبرونها الآن.

أما الأطفال الذين تذكروا أنهم ماتوا بشكل غير طبيعى فغالبًا ما يعانون رهابًا - فوبيا - تجاه الأمور المرتبطة بكيفية موتهم، فمن مات غرقًا تجده يخاف من السباحة بشكل غير طبيعى، ومن مات بطلق نارى يظهر خوفًا تجاه المسدسات والأصوات العالية. سلوك غير تقليدى آخر لاحظه ستيفينسون وهو أن يعبر الطفل عن رغبته فى تناول أطعمة أو إرتداء ملابس مختلفة عن ثقافة أسرته، ومن هذا السلوك أنمطة مختلفة، مثل أن يكون الطفل فى حياته السابقة مدمنًا على الكحول أو التبغ أو المخدرات، فيظهر هذا الطفل رغبة ملحة فى تناول ما كان مدمنًا عليه.

أيضًا من السلوكيات الغريبة التى يظهرها الطفل هو التصرف بطريقة لا تلائم جنسه ـ ذكر أو أنثى ـ إذا كان فى حياته السابقة على عكس جنسه الحالى، فنجد الطفل الذكر الذى يتذكر أنه كان أنثى يلعب مع الإناث ويلعب ألعابهم ويفضل أن يلبس مثلهم، وقد يمتد تأثير الأمر إلى فترة بلوغه فيصبح مثلى الجنس. الكثير من الأطفال أيضًا تظهر عليهم آثار وسلوكيات مرتبطة لمهنهم السابقة حاضرة فى لعبهم. كما أن بعض الأطفال الذين كانوا قد ماتوا منتحرين فى حيواتهم السابقة يحتفظون بميولهم الإنتحارية، فإذا مثلًا ساءت الأمور مع الطفل فإنه يهدد بالإنتحار.

لقد وثق ستيفينسون ثلاثًا وعشرون حالة لأطفال يعانون من الخوف من العقاب لإقدامهم على الإنتحار فى حيواتهم السابقة. وكان لدى بعضهم خوف دائم من أداة الإنتحار. ويلاحظ أيضًا على بعض الأطفال الذين تذكروا حياة سابقة أنهم يحدثون الآخرين بثقة عن أن الموت ليس هو النهاية. لقد ذكر تلك الحالات وأوضح الأتى: «كان معى ثلاثة أطفال موضوع دراستى وقابلوا أمرأة مات زوجها، وقالوا لها: يجب ألا تبكى، الموت ليس هو النهاية، انظرى إلى، لقد مت وها أنا هنا مرة أخرى»!

معرفة الطفل بمعلومات مرتبطة بصاحب شخصيته السابقة لم يكن من الممكن له معرفتها: يقول ستيفينسون: «بين سنى الثانية والرابعة، يبدأ الطفل بشكل تلقائى بالحديث عن حياة سابقة له ويبدأ بالحديث عن أسماء وأماكن لم يسمع بها أحد من أهله. وعادة يواصل الطفل حديثه الغريب لأشهر أو لسنوات على الرغم من المحاولات القوية من جانب عائلته لإيقافه عن مثل ذلك الحديث عن حياته السابقة. أنه فى أكثر من نصف الحالات التى درستها حاولت أسرة الطفل وقف الذكريات. ثم تبدأ الأقاويل فى الإنتشار عن الطفل إلى أن تصل إلى أسماع أسرة فى القرية ترى أن وصف الطفل يطابق فقيدًا لها، فتسعى لمقابلته. فى حالات أخرى يوضح الوالدان لطلبات طفلهم المتكررة بأن يلتقى مع أفراد أسرته السابقة، فيبدأ والدًا الطفل رحلة البحث عن الأسرة التى يتذكرها وذلك بناء على ما قدم من معلومات، فيتمكنا فى النهاية من معرفة الأسرة المقصودة. حين يتم أخذ الطفل إلى المكان الذى تقطن فيه أسرته السابقة، فإنه عادة ومن دون مساعدة يدل على الطريق المؤدى إلى منزله السابق، ويتعرف بشكل تلقائى على أفراد أسرته وأصدقائه السابقين ويناديهم بأسماءهم المحببة لهم، ويتفاجأ بالتغيرات التى طرأت على المنزل والغرف وعلى مظهر أقاربه وأصدقائه، ويستفسر عن أشخاص وممتلكات يجدها مفقودة، وفى بعض الحالات يتحدث عن مسائل وأسرار لا تعرفها إلا هذه العائلة. المثير أكثر من ذلك هو أن الطفل لا يعرف أى شىء مما قد حدث بعد وفاة شخصيته السابقة، وكأن ذاكرته قد تجمدت عند لحظة وفاته الأولى».

وجود علامة على جسد الطفل أو إعاقة تتطابق مع إصابة أو إعاقة تعرضت لها الشخصية السابقة. هذا النوع من الحالات إعتبره ستيفينسون الدليل الأقوى على إمكانية حدوث التجسد، ولذلك ستكون لنا وقفة خاصة مع هذا النوع من الحالات لاحقًا.

أمثلة لبعض القصص الشهيرة عن حالات التقمص

قصة السيدة «شانتى ديفى»

من أكثر القضايا شيوعًا تلك المتعلقة بالتجسد، الحالة التى سميت بحالة السيدة «شانتى ديفى» حيث نالت شهرة عالمية وإعتبرت من إحدى الحالات المثيرة للدهشة. حدثت فى الهند عام ١٩٣٠م، قبل قيام الدكتور ستيفينسون بأبحاثه بمدة طويلة، لكنه أعاد مراجعتها من خلال السجلات والمراجع الموثقة رسميًا. وقد صرح الدكتور ستيفينسون بأن قصة الفتاة «شانتى ديفى» مطابقة تمامًا للواقع.

ففى عام ١٩٣٠م كانت «شانتى ديفى» فى الرابعة من عمرها عندما بدأت تتذكر تفاصيل محددة عن أنواع من الملابس والأطعمة وأشخاص وأماكن، مما أثار فضول والديها، وبإختصار قامت الفتاة بذكر التفاصيل التالية التى تم التحقق منها فيما بعد، وتم إثبات صدق ما قالته تمامًا:

عرفت نفسها بأن إسمها الحقيقى «لودجى»، إمرأة عاشت فى (موترا) التى تبعد عن مكانها الحالى ١٢٨ كم.

تكلمت باللغة المحلية التابعة لتلك المنطقة دون أن تتعلمها فى حياتها الحالية.

إدعت بأنها أنجبت ولدًا ومات بعد عشرة أيام من ولادته (وقد اثبت ذلك فعلًا لاحقًا).

عندما أخذوها إلى «موترا»، تعرفت على زوجها (فى حياتها السابقة) وكان يدعى «كيدار ناث» وتكلمت عن أشياء كثيرة فعلوها سويًا دون معرفة أحد بتلك الأشياء سواهما!

تمكنت من التعرف على علامات عديدة حول مكان إقامتها السابق، وقد إهتدت إلى منزلها السابق بنفسها دون إرشاد من أحد.

تمكنت من التحديد بدقة، كيف كانت وضعيات الأثاث المنزلى اثناء وجودها فى حياتها السابقة.

تمكنت من تحديد مكان وجود ١٥٠ روبية فى إحدى زوايا المنزل وكانت تحتفظ بهذا المال من أجل عثرات الزمان.

تمكنت من التعرف على والديها السابقين من بين جمهور غفير.

لقد أحدثت هذه القضية ضجة كبيرة فى حينها مما دفع الحكومة إلى تشكيل لجنة مؤلفة من رجال بارزين كان من بينهم سياسى بارز، محامى، مدير دار نشر، من أجل التحقيق بتفاصيل هذه القصة المدهشة. وخرجت اللجنة مقتنعة تمامًا حيث تأكدوا من أن «شانتى ديفى» قد تمكنت من معرفة اشياء وتفاصيل كثيرة لا يمكن الحصول عليها عن طريق الخداع أو وسيلة ملتوية أخرى وجميعهم أجمعوا على أن الوقائع بمجملها تشير إلى إنها «ظاهرة التقمص».

وقد نالت هذه القصة شهرة عالمية وجذبت إنتباه الكثير من علماء الإجتماع والكتاب، مثل الكاتب السويدى «ستور لونرستراند» الذى سافر فى الخمسينات إلى الهند وقابل «شانتى ديفى» قد تجسدت فعلًا، وإستبعد أى تفسير آخر تعتمد عليه هذه القضية قائلًا: «إن ظاهرة التقمص لشانتى بالذات نالت اهتمام الصحافة والإعلام مما جعلها قضية عالمية ذات أهمية كبيرة».

قضية الدكتور «ارثر جيردهام» والسيدة «سميث»

هذه القضية من إنجلترا، أقنعت الكثير من الخبراء بما فيهم الدكتور «ارثر غيردهام» تتمحور حول ربة منزل عادية كانت تعانى من كوابيس وأحلام مزعجة أثناء نومها، فكانت ترى نفسها وهى تتعرض للحرق بالنيران الملتهبة فى ساحة عامة أمام الناس! وقد أعطت السيدة للدكتور «جيردهام» نسخ من بعض الرسومات ومقاطع أغنيات كانت قد كتبتها فى طفولتها بشكل تلقائى دون تحضير مسبق وقام متخصصين باللغة الفرنسية القديمة بالتعرف على كلمات من تلك الأغنيات وإستنتجوا إنها تنتمى إلى لغة كانت سائدة فى جنوب فرنسا بين القرنين ١٢ ـ ١٣ للميلاد.

قضية «مارتا لورينز»

إحدى القضايا المثيرة التى بحثها الدكتور ستيفنسون، كانت تخص فتاة من البرازيل، تدعى «مارتا لورينز»، والتى عندما كانت فى سنها الأولى من العمر تمكنت من التعرف على أحد أصدقاء والديها، وأشارت عليه بعبارة «أهلا أبى»! وعندما أصبحت فى سن الثانية من عمرها راحت تتكلم عن تفاصيل كثيرة تتعلق بحياتها السابقة والتى صادف بأنها كانت صديقة حميمة لوالدتها الحالية وإبنة الرجل الذى هو صديق والديها الحاليين والكثير من التفاصيل التى تحدثت عنها لم تكن معروفة من قبل والدتها الحالية، وإضطروا إلى التحقق من مدى صدق ما تقوله بالإستعانة بأشخاص آخرين يعرفون الفتاة فى حياتها السابقة، ووجدوا أن كل ما ادعته صحيحًا.

إستطاعت هذه الفتاة أن تتذكر ١٢٠ حقيقة أو حادثة أو موقف حصل فى حياتها السابقة. وكان إسمها «ماريا دى أوليفيرا» صديقة والدتها الحالية. هذه الصديقة قالت لوالدة الفتاة اثناء موتها على سرير المرض بإنها سوف تخلق عندها وتصبح ابنتها.

لقد إعتمد الدكتور ستيفينسون على ظاهرة «الإسترجاع العفوى للذاكرة» حيث امضى سنوات عديدة مع حالات جديدة مثل حالة «مارتا لورينز» السابقة وقام ببحثها مستخدمًا أساليب علمية دقيقة فى التحقيق مع أكثر من أربعة الآف طفل فى الولايات المتحدة وبريطانيا وتايلاند وبورما وتركيا ولبنان وكندا والهند ومناطق أخرى من العالم.

قضية الطفل «رافى شنكار»

تجلت الأمثلة المستخلصة فى دراسات الدكتور ستيفينسون حول الوشمات الجسدية، فى قضية الطفل «رافى شنكار» الذى تذكر قطع رأسه عندما كان ولدًا صغيرًا، على يد أحد اقربائه الذى كان يأمل بوراثة ثروة أبيه، وقد ولد «رافى» فى حياته الحالية مع وجود علامة فارقة تحيط برقبته. وبعد التحقق من صدق

الرواية، تبين أن الفتى كان صادقًا فى كل ما ادعاه، فقد تم قتل أحد الأطفال فعلًا بهذه الطريقة بنفس المنطقة والعائلة التى أشار إليها «رافى».

قصة الإنكليزية «جينى كوكيل Jenny Cockell»

هى إحدى قصص التجسد و«الحياة السابقة» المشهورة والتى كانت موضوعًا لكتابين وعرضت ونشرت حولها التحقيقات الصحفية، بعضها فى جرائد وإذاعات عالمية مرموقة مثل هيئة الإذاعة البريطانية (B.B.C). بالإضافة إلى غرابة هذه القصة فقد إتسمت ببعد أنثوى مؤثر، إذ أدت إلى لم شمل مجموعة من الأخوة والأخوات بعد أن فرقتهم الظروف الإجتماعية والعوامل الزمنية لمدة ستين عامًا، وكذلك لأن هذه القصة موثقة بالأسماء والصور ولأنها لفتت انظار المؤيدين والمشككين فى آن واحد.

ولدت «جينى كوكيل» عام ١٩٥٣م فى إنجلترا، كانت طفلة حالمة تتخيل الكثير من الأمور التى ما كان لطفلة فى مثل سنها حتى أن تفكر فيها. كان أحد الأحلام الذى قضى مضاجعها هو حلم مخيف عن موتها، كانت تتخيل نفسها فى غرفة بيضاء شديدة الإضاءة فيها شباك وحيد قديم الطراز، وينتابها إحساس ثقيل بالغربة كما لو أنها بعيدة عن بيتها، وكانت تشعر بألم شديد فى جسدها وصعوبة فى التنفس، لكن ذلك الألم كان لا يقارن مع الشعور المرعب بدنو أجلها، وخوفها على الأطفال التى ستتركهم خلفها. كان حلمًا غريبًا حقًا، خاصة بالنسبة إلى طفلة فى عمر جينى. هذه الخيالات والرؤى كانت تزداد قوة ووضوح عامًا بعد عام، فتتحول فى رأس جينى الصغير خيالات عن صور لأماكن ووجوه لم ترها فى حياتها، أكثر تلك الصور وضوحًا كانت لكوخ صغير تحيط به الأشجار وتنتصب بالقرب منه مجموعة من الأكواخ البسيطة، كانت على ما يبدو بلدة صغيرة وكان بإمكان جينى رسم خريطة لها على الورق، لكنها لم تكن تعلم أين تقع هذه البلدة فى هذا العالم الواسع الذى تعيش به. ولكن فى المدرسة، كانت جينى تفتح أطلسها الجغرافى وتحدق بغرابة إلى رسم لخارطة أيرلندا ثم تمرر إصبعها فوق الرسم ببطء لتتوقف عند بقعة معينة كتب تحتها

إسم «مالهد»، كانت بلدة صغيرة إلى الشمال من «دبلن»، ومع أن جينى لم تزر ايرلندا فى حياتها لكن شعورًا قويًا لا يقاوم كان دومًا يوجهها إلى ذلك المكان البعيد.

رغم الخيالات والأحلام، المزعجة أحيانًا، التى كانت تتراءى لها من حين لآخر إلا أن جينى أستمرت فى حياتها حتى غدت شابة وتزوجت وأصبحت أما لطفلين، إلا أنها لم تتوقف يومًا عن التفكير فى ذلك الكوخ الصغير القابع فى تلك البلدة الصغيرة من ايرلندا، بل إن إنجابها لأطفال وشعورها بالأمومة أظهر تلك الخيالات القديمة وأصبحت أكثر قوة ووضوحًا، خاصة تلك المتعلقة بالأطفال الصغار الذين كانت تراهم فى أحلامها والتى بدا واضحًا بأنها كانت والدتهم فى حياة أخرى. لقد شعرت بحنين وقلق كبير تجاه أولئك الأطفال إلى درجة إنها قررت أخيرًا فى عام ١٩٨٨ القيام بزيارة إلى بلدة «مالهد» فى ايرلندا، وما أن وطئت أقدامها أرض تلك البلدة حتى أخذت أحلامها وخيالاتها القديمة تمتزج مع الواقع لتصبح حقيقة ماثلة للعيان، صحيح أن هناك بعض التغييرات طرأت على البلدة ولكنها فى تفاصيلها العامة كانت مطابقة للصورة التى رسمتها جينى فى عقلها، وكانت المفاجأة الكبرى عندما وجدت جينى الكوخ الصغير الذى ظهر فى أحلامها، كان مهجورًا وخربًا لكنها تمكنت من التعرف عليه بسهولة، ثم بدأت الصور والذكريات تنهال عليها، صور إرتسمت فى ذهنها تتكون من زوج وزوجة وثمانية أطفال، ولكنها لم تستطع تذكر إسم العائلة ولا إسم تلك المرأة التى كانت تجسدها.

قررت جينى أن تكتب رسالة إلى مالك الأرض التى توجد عليها الكوخ تطلب فيها مساعدته فى التعرف على اسم العائلة التى كانت تسكنه طبقًا للرؤى والمعلومات التى كانت تراها فى أحلامها. ويبدو أن الحظ قد إبتسم لها إذ لم تمض مدة طويلة حتى جاءتها برقية تجيب على تساؤلاتها. لقد كتب إليها مالك الأرض بأن الأوصاف التى ذكرتها فى رسالتها لا تنطبق إلا على عائلة «جون ومارى سوتون» وأطفالهم الثمانية الذين كانوا يقطنون الكوخ فى الثلاثينيات من القرن العشرين، وعلى الفور أيقنت جينى من أن عائلة سوتون

هى العائلة التى طالما رأتها فى أحلامها، وإن روح «مارى سوتون» هى التى حلت فى جسدها، ثم قررت البدء فى البحث عن أطفال مارى سوتون، فكتبت عدة رسائل إلى دور الأيتام والكنائس والمستشفيات فى «دبلن» وضواحيها تستعلم فيها عن مصيرهم، وسرعان ما قابلت أحد القساوسة الذى وجد فى سجلات كنيسة معلومات حول تعميد عدد من أطفال العائلة: جون (١٩٢٣)، فيلومنا (١٩٢٥)، كريستوفر (١٩٢٦)، فرانسيس (١٩٢٨)، بريجيت (١٩٢٩)، إليزابيث (١٩٣٢)، كانت جينى على يقين من أن هناك طفلين آخرين لم ترد أسماءهم فى سجلات الكنيسة رغم ذلك كانت المعلومات التى حصلت عليها بمثابة الخيط الذى أوصلها فى النهاية إلى معرفة ماذا حل بأطفال «مارى سوتون».

قامت جينى بنشر إعلان صغير فى إحدى جرائد دبلن وضعت فيه أسماء الأطفال لغرض الحصول على معلومات عنهم، وكم كانت المفاجأة كبيرة عندما إتصل بها «جون» الأبن الثانى لـ«مارى سوتون»، لم تكن المكالمة مشجعة إذ إن جون لم يقتنع بمزاعم جينى. كان صعبًا عليه أن يصدق، وهو فى الخامسة والستين من العمر، بأن إمرأة فى الخامسة والثلاثين من العمر تتصل به لتخبره بأنها النسخة الجديدة لروح والدته مارى التى توفت قبل ٥٦ عامًا، مكالمة جون لم تخلو من فائدة إذ أعطى جينى رقمى هاتف أشقائه «سونى» الأبن الأكبر و«فرانسيس».

لم يكن «سوتون» يتخيل حتى فى الأحلام ما سيسمعه فى الهاتف مساء أحد الأيام من عام ١٩٩٠. لقد تحدث لفترة من الزمن مع إمرأة إنجليزية، وبعد أن أغلق الهاتف بدا لوهلة مصدومًا ومبهورًا حتى إن زوجته سألته بإندهاش عما حدث فأجابها وعلى وجهه علامات الدهشة: «أعتقد بأنى تحدثت للتو مع شبح» وأردف قائلًا بصوت مرتجف: «أنا متأكد من أنى كنت أتحدث للتو مع روح أمى!!». لقد كانت بعض الأشياء والأمور التى ذكرتها جينى اثناء حديثها على الهاتف مع سونى على درجة من الخصوصية بحيث يستحيل على إنسان فى العالم أن يعلم بها بإستثناء أمه «مارى»، ولكن ما استعصى على سونى

إستيعابه هو كيف يمكن لإمرأة ولدت بعد وفاة والدته بواحد وعشرين عامًا أن تعرف مثل هذه الأمور عن طفولته.

إن اثر مكالمة جينى على سونى لم يقتصر على الدهشة والصدمة ولكنها أعادته إلى ذكريات بعيدة وباهتة كان قد طوى صفحتها وتمنى لو ينساها: «أى كان سبب جميع المصائب التى حلت بنا» هكذا أخبر «سونى سوتون» أحد الصحفيين الذى كان يجرى معه مقابلة بعد عام على الإتصال الأول. ثم أردف بصوت متهدج: «كان أبى يعمل كبناء، وكان يكسب مبلغًا جيدًا من المال لكنه كان ينفقه على إحتساء الخمر، كنا نظل لأسابيع كاملة بدون مصروف للبيت، لم يكن لدينا شىء لنأكله. كان أبى يأتى إلى البيت بعد العمل وهو مخمور ويطلب أن يوضع العشاء أمامه، وإذا لم تجد والدتى شيئًا لتضعه على الطاولة كان ينهال عليها بالضرب بقسوة، أحيانًا كنت أحاول منعه من ضربها فكان يضربنى أنا أيضًا».

لم تكن العائلة فى الغالب تملك شيئًا لتأكله، كان سونى وأشقائه يحاولون فى النهار صيد الأرانب وفى الليل كانوا يسرقون بعض الخضار من الحقول المحيطة بالبلدة. كانت طفولة بائسة وتعيسة، لكن على العكس من الأب السكير والقاسى، كانت الأم مارى غاية فى الرقة والحنان فى تعاملها مع أطفالها.

سونى كان فى الثالثة عشر عندما ماتت أمه عام ١٩٣٢، وهو يلوم والده على وفاتها أيضًا: «لقد كانت مريضة ومنهكة، أنجبت ١٠ أطفال (مات اثنان منهم فى الطفولة) وبعد وفاة أخر أطفالها أخبرها الطبيب بإن إنجاب طفل آخر سيعنى موتها المؤكد». وبالفعل تحققت نبوءة الطبيب، فقد ماتت مارى سوتون فى المستشفى بعد أن وضعت آخر أطفالها: «لقد كانت ضربة مؤلمة لنا» قال سونى بحزن ثم أردف وهو يغالب دموعه: «لقد انقلب كل شىء فى حياتى رأسًا على عقب».

ولم تمضى سوى عدة أيام على وفاة مارى سوتون حتى حضرت راهبة إلى الكوخ وإصطحبت معها شقيقات سونى إلى أحد الملاجئ، وبعد ذلك بأسبوع

أخذوا أشقائه أيضًا إلى أحد دور الأيتام، ولم يبقى فى المنزل سوى سونى الذى أصبح خادمًا لأبيه وحاضنة لأخته الرضيعة التى توفت والدته وهى تلدها. قال سونى: «لقد أحببت تلك الطفلة من كل قلبى، لقد رعيتها مثل أمى، كنت أغير ملابسها وأغسلها وأطعمها تمامًا كما كانت أمى تفعل مع بقية أخوتى، لكن فى أحد الأيام حضر أحد أعمامى وأخذ الطفلة، لم أراها أبدًا بعد ذلك اليوم». لقد كانت طفولة سونى عبارة عن مأساة، إذ تفرقت عائلته ولم ير أشقائه وشقيقاته لسنوات طويلة، وأصبح يعمل فى الحقول من الصباح حتى المساء من أجل أن يعيل والده السكير، لكن بعد أربع سنوات لم يعد سونى يطيق حياته، فهرب فى إحدى الليالى من كوخ والده والتحق بالجيش ولم يعد بعدها إلى البلدة إذ لم تكن تعنى له سوى مجموعة من الذكريات الأليمة التى كان يود أن ينساها إلى الأبد.

«لا أعلم ماذا أقول، أنا كاثوليكى المذهب ونحن لا نؤمن بالتناسخ والتجسد، لكن عندما حضرت جينى إلى هنا ورأيتها ترجل من السيارة شاهدت فيها صورة أمى، لقد كانت هناك رابطة ما تشدنا إلى بعض منذ البداية». هكذا أخبر سونى الصحفيين بعد لقائه بجينى، لقد جلسًا معًا لفترة طويلة، وتحدثا عن أمور لم يكن لأحد أن يعرفها عن حياة سونى سوتون، عن ذكريات قديمة عمرها أكثر من ستين عامًا.

خلال الأشهر التالية إلتقت جينى ببقية الأبناء والبنات الباقين على قيد الحياة، فإلتقت جينى بفرانك وبيتى وكريستى. بالنسبة إلى فرانك وكريستى فإنهما كانا يعتقدان أن روح والدتهم هى التى أرشدت جينى لكى تكون سببًا فى لم شملهم، أما فيلومنا فقد آمنت بأن روح أمهم مارى إنتقلت حقًا إلى جسد جينى وكانت تشعر بالطمأنينة والراحة عندما تكون قريبة منها، أما سونى سوتون فقد كان أشد المؤمنين بأن جينى هى التجسيد الحى لروح والدته مارى، لقد كان أكبر أطفال مارى والوحيد الذى يملك ذكريات حقيقية عن والدته لذلك كان هو الدليل الأكبر على صدق قصة جينى.

قصة الطفل الهندى «كاسبر»

هذه هى إحدى قصص التجسد الموثقة والتى قام بدراستها دكتور ستيفينسون. كان «كاسبر» طفل هندى أصيب بمرض الجدرى وبدأ يحتضر وظن أهله أنه مات، ولما كان الصبى من الهندوس، وطقوسهم تقضى بإحراق أجساد الأموات، ما عدا الذين دون الخامسة من أعمارهم، أو الذين يقضون بأمراض سارية، حيث كانوا يدفنون أو يرمى بهم فى الأنهار، فقد ذهب والد الطفل إلى شقيقه كى يساعده فى دفن طفله، ولكنه عندما عاد وجد أن جسده لم يكن هامدًا تمامًا، وإن بصيصًا من الحياة قد دب فيه.

ومرت الأيام قبل أن يقوى الطفل على الكلام، ومرت أسابيع قبل أن يمشى، ولكنه شفى. وكانت المفاجأة، فقد إنقلب أبنهم «كاسبر» إلى شخص آخر، قد رفض أن يأكل من طعامهم، وقال إنه من طائفة «البراهما»، وتبدلت لهجته فى الكلام وأسلوبه وطريقته فى الحوار، وصرح لهم أنه خلال غيبوبته كان حيًا فلا قرية «قاهدى»، وإنه ابن شيخ القرية، وإنه يرغب فى العودة إلى هناك، وروى لهم إنه كان شابًا مات مقتولًا بسبب تناوله للسم، ثم وقوعه من العربة التى نقلته بعد أن شعر بالدوار نتيجة للسم الذى دسه له قريبه تخلصًا منه ومن دين له عليه، وقال إن اسمه هناك كان «رام» وعمر ٢٢ عامًا وإسم أبيه «شكنكر لال تايجى».

وثبتت صحة رواية الصبى كما يقول البروفيسير ستيفينسون الذى حقق بالحادثة بنفسه وتأكد أن كل الأشخاص الذين ذكرهم كاسبر فى حياته السابقة بأسمائهم هم موجودون حقيقة، وإن المدعو «رام» قد مات بالفعل اثناء غيبوبة «كاسبر»، وقد تعرف الصبى على زوجته حين كان «رام»، وعلى أفراد أسرته الذين لم يعرفوا قصة الدين بينه وبين رفيقه، بل وذكر لهم أنه كان فى جيبه ١٠ روبيات فى معطفه الأسود، وقد أكد هذه الحقيقة أهل الفقيد، وروى لهم بعض الأمور التى حدثت له فى حياته.

ملاحظات مبدئية على نتائج حالات التجسد

يقول الدكتور «رؤوف عبيد» فى كتابه الهام (فى العودة للتجسد):

الملحوظة الأولى

ملحوظة مبدئية عن نتائج الحالات إلتى عرضها إيان ستيفينسون وغيره، وهى أن العودة للتجسد لم تكن فورية، أى بمجرد الوفاة. وذلك يدحض بعض الإعتقادات التى تذهب هذا المذهب والتى لها أتباعها فى الشرق الأقصى. ففى جميع الحالات إتضح مضى فترة تراوحت فى مداها، قضتها الروح فى عالم الغيب (أو إفتراضًا البرزخ الفضائى) محتفظة بشخصيتها وبذاكرتها ـ ولو على وجه من الوجوه ـ وهذه الفترة قد تمتد إلى سنين وربما إلى قرون وعلى ذلك أجمعت رسائل الأرواح الراقية فى جلسات إستحضار الأرواح، وبحوث الباحثين الجادين. ومع مراعاة أن الزمن، فى الطبيعة الأزلية للروح كلمة ليس لها معنى ولا سبيل لقياسها.

وبطبيعة الحال كلما كانت العودة للحياة الأرضية قريبة العهد بالتجسد السابق، كلما كانت الذكريات عن ذلك التجسد أغزر وأوضح وكلما كان التحقق من صحتها أيسر سبيلًا. لأن معالم المكان والزمان تكون لا تزال موجودة بما فى ذلك بقاء بعض الأشخاص على قيد الحياة والذين كانوا قد عاصروا التجسدين السابق واللاحق. وكلما كانت هذه العودة إلى الحياة الأرضية بعيدة العهد بالتجسد السابق كلما كان التحقق من صحة التجسد السابق صعب التحقق منه، بل ربما صار مستحيلًا بالنظر إلى تراجع الذكريات أو إختفائها وبالنظر إلى زوال أهم معالم المكان والزمان. ولذا نجد أن جميع الحالات التى نجح الباحث الفذ البروفيسير أيان ستيفينسون فى متابعتها وتحقيقها قريبة العهد جدًا إذ لم يمض على غياب صاحب الحالة فى عالم الغيب سوى فترة تتراوح بين سنة واحدة وعشر سنوات فقط. ومجرد إحتمال صحة التجسد القريب تحمل على الإعتقاد بإمكان صحة المبدأ من الناحية العلمية ـ الفلسفية، ولو تعذر التحقق القاطع لطول العهد بالماضى السحيق للإنسان.

الملحوظة الثانية

وهى أن العودة للتجسد كانت دائمًا فى صورة آدمية، وربما قريبة ـ ولو على وجه ما ـ من صورتها السابقة مباشرة. فلم يثبت فى أية حالة من الحالات أن العودة يمكن أن تكون فى صورة حيوان أو طائر أو شجرة... أو غير ذلك على نحو ما تذهب إليه بعض الأساطير خصوصًا فى الشرق الأقصى.

الملحوظة الثالثة

هى أن النفس العائدة للتجسد ـ مهما كانت عودتها قريبة ـ لا يمكن أن تتذكر أبدًا كل ماضيها، إنها تتذكر فقط لمحات أو ومضات سريعة من هذا الماضى تكون قد إستقرت قابعة فى عقلها الباطن فلا تطفو إلا متى أتيحت لها فرصة الطفو على السطح من جديد. ولذا فإن إمتحان هذه الروح العائدة للتجسد فى هذا الماضى أمر لا يجدى شيئًا فى إثبات شخصيتها. بل يكفى فى هذا الشأن قدرتها على تذكر بعض الأحداث أو بعض الأسماء التى سبقت لها رؤيتها، أو سماعها، والتحقق من صحة هذه وتلك للتعرف على مدى صحة الحالة.

وهذا أمر بديهى إذا روعى الإختبار الحيوى الهام الذى تعرضت له الروح مرتين: مرة عند إنفصالها عن جسدها المادى، وأخرى عند إتصالها بجسد مادى جديد فى رحم الأم، وأثر ذلك كله فى ذاكرتها وفى وعيها. وهذا هونفس الوضع الذى يقابله كثيرًا الباحثون الروحيون عند محاولة الإتصال بأى روح وهى خارج الجسد، ثم عند رغبة تحقيق شخصيتها عن طريق إختبارها فى ذكرياتها الأرضية، فهذا الإختبار غير منتج فى المعتاد، إذ ينبغى أن نترك للروح أن تعبر عن نفسها وأن تروى ذكرياتها على النحو الذى يتفق مع سليقتها والذى يتراءى لها، والذى تقدر عليه هى بحسب حالتها الجديدة خصوصًا بعد تغير كلى لظروفها، وحدوث إندماج جزئى أو كلى بين الجانبين الواعى وغير الواعى للعقل أو بين الشعور واللاشعور، وأثر ذلك فى الذاكرة أثر عميق، وخطير، ومتعدد الجوانب.

ومن الملاحظ بوجه عام أن تذكر الروح العائدة للتجسد أحداث حياتها الماضية يكون باهتًا ضعيفًا، وأضعف بكثير من تذكر الروح العائدة للتجسد عن طريق التنويم المغناطيسى الفنى لنفس هذه الأحداث. لأنه فى هذه الحالة الأخيرة قد يطفو العقل الباطن للروح إلى مستوى الذاكرة الواعية لدرجة أن الروح قد تتذكر عدة حيوات لا حياة واحدة فحسب وهو ما لا يحدث إلا إذا توافرت إعتبارات معينة.

تعليقات دكتور ستيفينسون على نتائج تحقيقاته

يوجه الدكتور ستيفينسون نظر المتابعين لقصص التجسد التى قام ببحثها إلى أن بعض الحالات التى حققها تنتمى إلى بيئات لا تعرف شيئًا عن العودة للتجسد، وحدثت منها حالات عديدة فى الغرب فى أسر إما لم تسمع إطلاقًا عن هذه العودة، وإما لا تعطى هذا الإعتقاد أى إعتبار، بما فى ذلك بعض حالات الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وإنجلترا. ففى هذه البلاد تجرى الثقافة فى مجرى الكراهية لعقيدة العودة للتجسد، وكثير من الأشخاص لم يسمع حتى مجرد سماع عن هذه العقيدة، أو سمع عنها ولكنه إعتبرها خرافة حمقاء يؤمن بها القوم هناك فى آسيا. ويقول إنه واثق من أن كل أسرة من تلك الأسر التى تحدث فيها أطفالها عن ذكريات معينة عن حياة سابقة تلقت تلك الأقوال بدهشة، بل بعدم تصديق.

كما حدثت حالات مماثلة فى الهند فى أسر إسلامية لا تؤمن بالعودة للتجسد، بل وتنكر صحتها. وقد يعترض بعض الأشخاص قائلين أنه توجد جيوب معزولة من الناس تميل إلى الإيمان بالعودة للتجسد حتى فى الغرب، وهو أمر صحيح بلا ريب. أو قائلين أن ثمة أسرة ما قد لا تؤمن بالعودة للتجسد ولكن قد يكون أفرادها مسؤولين عن حديث أحد أطفالها عن حياة سابقة له، بغير أن يتعمدوا ذلك.

يقول د. ستيفينسون: مثل هذه التأويلات تدفعنى إلى توسيع مفهوم التأثيرات

الثقافية إلى ما وراء، بل إلى ما يناقض الوقائع التى وصلت إليها والتى حدثت خارج إطار الثقافات الموالية للعودة للتجسد، ولا أعتقد أنه يتعين علينا أن نصوغ نظرياتنا لكى تلائم الإستثناءات، بل أن نصوغها بحيث ندخل فيها تلك الحالات الإستثنائية أيضًا.

وإذا كان أحد الأشخاص بمقدوره أن يحوز بيانًا يمكن تحقيق عن حياة سابقة، وهذا البيان ليس بمقدوره الحصول عليه عن طريق عادى، بمقدار ما يمكننا القول، وإذا كان هذا الشخص يقدم بيانه بوصفه أنه اتصل به كذكرى من حياة سابقة، فإنه فى الواقع من الجائز فعلًا أن يكون الأمر كذلك. فإذا كانت العودة للميلاد تحدث فعلًا فإن علينا أن نتوقع ذكر بيانات عن حياة سابقة على الحاضر كتذكارات عن الماضى، وعلينا أن نستغرب إذا لم يكن الأمر كذلك.

«وعلينا فى الواقع أن نتساءل ـ إذا كان ثمة طفل يزعم بوجود هذا البيان عن شخصية سابقة له ـ عما إذا كان هذا البيان ينتمى إلى شخص آخر غير متجسد (أى إلى الروح)؟ ولكن إذا كان هناك دليل آخر يدعونا إلى الإعتقاد بأنه يصف لنا شخصيته الخاصة التى لا تزال مستمرة معه، فلابأس من الإعتقاد بصحة ذلك. وهذا الإفتراض يتحقق بشكل نموذجى عندما يحمل مولود حديثًا علامات معينة ذات خصائص محددة عالية مشتركة بين شخصين (أحدهما سابق وثانيهما لاحق) كما حدث فى حالات عديدة تحمل علامات حقيقية، وقواعد صحيحة للإقتناع بأن الطفل ما كان بمقدوره أن يحصل بالسبل العادية على البيانات التى قدمها عن شخصيته السابقة».

ثم يضيف ستيفينسون بعد تحليل واف لهذه الحالات قائلًا: «ولقد عثرت على دلائل قليلة على أن بعض أولئك يحوز قدرة خاصة على الإدراك خارج الحواس بصرف النظر عن دائرة الإلمام بشخصيته السابقة. وكانت الدلائل عبارة عن معلومات قدمتها أسرهم مفادها أن أولئك الأطفال قد تنبأوا عن أحداث وقعت لأقارب أو لأصدقاء للأسرة، قبل وقوعها، أو كانوا بعيدين عنهم».

وقوة تحديد شخصية الأشخاص الذين يدعون تذكر حياة سابقة لهم بالمقارنة

بشخصيتهم الحاضرة تتفاوت. فبعض أولئك الأطفال يستخدم صيغة الماضى لوصف الحياة السابقة فيقولون: «كنت أحمل إسم كذا وكذا». لكنهم يتقبلون أيضًا أسماءهم الحاضرة. أما البعض الآخر فهو يناضل ضد الشخصية الحاضرة ويقول مثلًا: «لا تنادونى بهذا الإسم لأن إسمى جون مثلًا، وأنتم لستم أقاربى، فإن أبى وأمى يعيشان بعيدًا عن هنا».

بل إن ثمة أطفالًا يحوزون تحديدًا قويًا عن شخصية سابقة بحيث يمكنهم أن يميزوا أحداث الحياة السابقة بوصفها أحداثًا ماضية. فيقول أحدهم مثلًا: «لقد حدث لى حادث كهذا عندما كنت كبيرًا». وهم فى المعتاد لا يعيشون الماضى من جديد كما لو كان يحدث الآن. وهذا يحدث أيضًا فى أحلام كثيرة إذا حدثت إيحاءات بوجود حياة سابقة. وفى تلك الأحلام بالذات يشعر الإنسان بأن له فى الحلم شخصية مغايرة كانت تعيش فى عصر ماضى، وفى مكان مختلف. وطيلة الحلم، وربما لمدة أطول من الحلم قليلًا، يشعر بنفسه كما لو كان شخصية أخرى. وبعضهم ينظر عند اليقظة فى مرآة حتى يتأكد أنه مثلًا يملك لحية أو لا يملكها.

وتحدث أمور مماثلة لهذه فى حالات التنويم المغنطيسى عندما تؤدى إلى إرجاع الذاكرة إلى حياة سابقة. كما تحدث أيضًا كثيرًا فى بعض الحالات التى فيها يتذكر إنسان وهو فى يقظته حادثة قديمة لكنه يشعر كما لو كان لا يزال يحيا فى مجرى الحادثة كما حدثت فى أصلها، ويتصرف كما لو كانت هذه الحادثة لاتزال تجرى فى الحاضر.

ثم يتعرض ستيفينسون لموضوع آخر دقيق، وهو إلى أى مدى يمكن للوالدين أن يفرضًا على طفلهما سلوكًا معينًا، خصوصًا فيما يتعلق بتذكر حياة سابقة له؟ وبعبارة أخرى إلى أى مدى يمكن للوالدين أن يؤثرًا فى شخصية طفلهما بما يدفعه مثلًا إلى القول بأنه كان فى حياة سابقة هذا الشخص أو ذاك؟

«ويقول أن هذا النوع من الأحداث مر به الطفل الهندى «رانجيث Ranjith» الذى كان يعتقد إعتقادًا جازمًا إنه كان فى حياته السابقة شخصًا يعيش فى

إنجلترا. والموضوع ليس موضوع تشابه فى الملامح بل موضوع إحساس منه بأنه يمثل دوام حياة شخص آخر. وكان «رانجيث Ranjith» يحس بذلك إحساسًا متدفقًا إلى حد أنه كان أحيانًا يستخدم صيغة الحاضر للحديث عن الحياة السابقة فيقول: «أن لى أبًا أو أمًا فى إنجلترا» أو أن أمى تدعونى قائلة «يا عزيزى darling أو sweetheart». وللإجابة عن التساؤل السابق فإن بمقدورى أن أقول إننى فيما خلا حالات العودة للتجسد التى من هذا القبيل، فأننى لم اسمع ابدًا عن طفل يضع نفسه فى شخصية أخرى يزعم طويلًا إنها تمثل شخصيته الخاصة كما يفعل أولئك الأطفال الذين يزعمون إنهم قد عاشوا من قبل».

«قد يحدث هذا عند البالغين المرضى بمرض عصبى معين "Psychotic disorder" لكن هذا المرض نادر جدًا عند الأطفال. وتشخيص الطفل نفسه تشخيصًا زائفًا بأنه شخص آخر أكثر ندرة. وقد ناقشت هذا الإفتراض مع الأخصائيين فى علم التحليل النفسى للأطفال، ولم يذكرنى أى واحد انه سمع ابدًا عن حالة يزعم فيها طفل أنه يمثل شخصًا آخر. ولم أكتشف فى كل أبحاثى فى «علم نفس الأطفال» حالة واحدة من هذا القبيل فيما عدا حالة لعب الأطفال مع الآخرين أو مع الحيوانات». وينبغى أن نلاحظ عند تقدير هذه الآراء الخطيرة التى وصل إليها ستيفينسون أنه قبل أى شىء آخر فإنه عالم نفس، وإنه كان يعمل أستاذًا للتحليل النفسى بجامعة فيرجينيا، فهو يتكلم فى ميدان من صميم اختصاصه العلمى، الذى يؤهله للحديث فيه عن دراية وخبرة كافيتين.

التمييز بين العودة للتجسد والإستحواذ

يقول الدكتور رؤوف عبيد فى كتابه عن التجسد أنه ينبغى عدم الخلط بين العودة للتجسد، وهى تبدو ناموسًا طبيعى للميلاد من جديد على هذا المستوى المادى من الكوكب الأرضى، وبين الإستحواذ (Possession) الذى قد يحدث أحيانًا من روح إنسان منتقل على جسد إنسان لا يزال يواصل حياته الأرضية، والذى لا يعتبر ناموسًا طبيعيًا بمقدار ما قد يعتبر ـ فى غير حالات الهيمنة للإرشاد، أو للعلاج، أو للإقناع، أو بالإلهام.. إلخ ـ ظاهرة مرضية قد تدوم طويلًا أو قصيرًا.

والأصل أنه بمجرد زوال حالة الإستحواذ المرضى يعود المريض إلى شخصيته السابقة تمامًا. وثمة حالة مشهورة من هذا القبيل خضعت لتحقيق دقيق هى حالة «معجزة واتسيكا Watseka». كما قابل بعض خبراء التنويم المغناطيسى حالات من إستحواذ كائن اثيرى أو غيبى على جسد الوسيط أو الوسيطة فى الغيبوبة. وقد سلم الفيلسوف الأمريكى «وليام جيمس W.James» بإمكانية حدوث هذا الإستحواذ وأيضًا عدد لا يستهان به من أبرز العلماء. على أن ثمة صورة أخرى للإستحواذ صادفها بعض الباحثين، وهى إستحواذ كائن وهو خارج جسده المادى على جسد إنسان فى لحظة الوفاة، أى فى نفس لحظة خروج صاحبه منه، أو مخالفته الخروج منه عند الإحتضار. ومن هذه الحالات الأخيرة حالة صادفها الدكتور أيان ستيفينسون، وكان ذلك بمناسبة إجراء بعض تحقيقاته الشاقة فى حالات العودة للتجسد التى ذهب إلى الهند خصيصًا لتحقيقها. وهى حالة سوف أقدمها فيما يلى لضرورة التمييز بين الإستحواذ من جانب والعودة للتجسد من جانب آخر. وهى تبرز فى نفس الوقت كيف أن تحقيقات ستيفينسون فى الهند لم تكن أمرًا سهلًا، بل كلفته مشقات بالغة غير الإنتقال والتفاهم بالترجمة، وهى مشقة إقناع الناس بأنه لا يريد بهم شرًا، وإنه لا يريد التدخل فى عقائدهم وعلاقتهم، وراحة أرواح الأحياء أو «الأموات» منهم.

هذه القصة سبق أن استعرضت ملخصًا لها مع القصص الستة للتجسد التى قام بدراستها دكتور ستيفينسون ولكنى سوف أعيد روايتها بالتفصيل هنا لضرورة التمييز بين الإستحواذ والعودة للتجسد. وهى حالة «جاسبر» كما سبق أن ذكرت وهو الطفل الهندوسى والذى كان فى الثالثة والنصف من عمره والتى قيل انه كان ضحية إستحواذ كامل من روح شاب براهمى يدعى «سوبهارام So-harram» توفى ـ أو إن شئت فقد جسده الأرضى ـ عندما كان فى الثانية والعشرين من عمره.

وهذا الطفل المدعو «جاسبر» كان من سكان قرية «راسولبور Raswpur» وأصيب فى ربيع سنة ١٩٥٤ بمرض الجدرى إصابة شديدة إلى حد أن توفى

أو بالأدق ظهرت عليه جميع الأعراض اللازمة للجزم بالوفاة. ولكن بعد بضعة أيام من وفاته إسترد صحته بالكامل، ثم إحتاج إلى بضعة أسابيع لكى يسترد قدرته الكاملة على النطق. وعندئذ ظهر سلوكه شاذًا غريبًا عما كان عليه قبل وفاته، ومن ذلك أنه أصبح يصر على أنه براهمى لاهندوسى (كما كان من قبل). وإنه يدعى «سوبهارام»، وإنه ابن المدعو «شانكار لا تياجى» من سكان قرية «فيهيدى» التى تبعد نحو ثلاثين ميلًا من قريته راسولبور.

وذات يوم زار هذه القرية الأخيرة مدرس من قرية فيهيدى (التى كان يعيش فيها سوبهارام) فتعرف عليه جاسبر على الفور، كما أخذ فى الحديث عن قريته «فيهيدى» ومنزل «والده» هناك. فإستغرب جميع الموجودين وأخذوه إلى «فيهيدى ـ وكان عندئذ قد بلغ السابعة من عمره ـ حيث تعرف طريقه تلقائيًا إلى منزل أسرة شانكار، وسرد تسعة وثلاثين بيانًا محددًا عن حياة سوبهارام. كما تبين أن سوبهارام هذا هو ابن شانكار قد تزوج وأنجب أولادًا وتوفى بغتة بتاريخ ٢٢ مايو سنة ١٩٥٤، أى بتاريخ معاصر لتاريخ هذا التحول العجيب الذى لحق بشخصية الطفل «المتوفى» جاسبر.

وظل هذا الطفل يصر على أنه يدعى سوبهارام وأنه من البراهمة لا من الهندوس، وكان بالتالى يرفض تناول أى طعام ما لم يكن معدًا بالطريقة البرهمية التى لم تكن تعرف عنها شيئًا اسرته الهندوسية، فتطوع جار برهمى للأسرة بإعداد هذا الطعام. وكل من يعرف شيئًا عن صرامة تقاليد طائفة البراهما يفهم كيف أن البرهمى يفضل أن يموت جوعًا على ألا يتناول طعامًا لا برهميًا. مهما كانت الأمور. وظل الحال على هذا المنوال لمدة ثمانية عشر شهرًا كاملًا.

ومن الصعوبة بمكان أيضًا أن نتصور كيف أن الطفل جاسبر وهو فى الثالثة والنصف من عمره تحول سلوكه كطفل وديع إلى سلوك إنسان بالغ العمر يزيد عنه بحوالى ثمانية عشر عامًا. وفى هذا الشأن يكتب ستيفينسون: «أن القراء يريدون طبعًا أن يعرفوا بيانًا عن نوع الأحداث التى مرت بالطفل جاسبر منذ وفاة شخصية سوبهارام، وظهور شخصيتة فى جاسبر، وعن ذكرياته منذ كان

يدعى سوبهارام. وعلى هذه الأسئلة أجاب جاسبر فى سنه ١٩٦١م قائلًا إنه عندما توفى (بوصفه سوبهارام) قابل هناك شخصًا يعتقد إنه شيخ أو رئيس دينى (Sadhu) نصحة بأن يستحوذ على جسد الطفل جاسبر الذى كان فى حالة إحتضار.

ورغم إن إنتهاء شخصية جاسبر الظاهرة (بإتخاذ شخصية سوبهارام) حدث فى الفترة من أبريل إلى مايو ١٩٥٤م وهو تاريخ معاصر لتاريخ وفاة سوبهارام، إلا أن التحول فى شخصية جاسبر لم يحدث مباشرة بعد تلك الليلة التى ظهر فيها كما لو كان توفى من الجدرى، ثم عاد إلى الحياة فجأة. بل لقد ظل جاسبر فى الأسابيع التالية مريضًا فى خطر ويحتضر بسبب مرض الجدرى، وكان يتناول طعامه بصعوبة، وعاجزًا عن إبراز أية معالم لشخصيته. ولذا فإن تغيير الشخصية ربما حدث سراعًا أو تدريجيًا خلال الأسابيع التى بدأت مباشرة بعد وفاة جاسبر (حين توقفت جميع وظائفه الحيوية كالنبض والتنفس بسبب مرضه بالجدرى فإعتقد الجميع أنه قد توفى).

وعلى هذه الحالة الفريدة يعلق «نويل لانجلى Noel Langely» فى مؤلفه عن «العودة للتجسد بحسب إدجاركايسى» قائلًا إنها حالة فريدة، لإنه فى معظم الحالات التى من هذا القبيل يعطى الروح وقتًا ما بعد مغادرة جسده الأرضى قبل أن يعود إلى حمل جديد حتى فى حالات الموت المباغت. والإشارة التى حدثت إلى «الرئيس الدينى» الذى أشار على سوبهارام أن يتخذ له مسكنًا من الجسد الميت أو المحتضر للطفل جاسبر تمثل حالة خروج على النواميس العامة للخليقة. ولقد أقر إدجار كايسى أنه تحدث فى بعض الأحيان أخطاء فى هذا الشأن، ولو أنها نادرة. كما أقر بأن المستوى الأول من عالم الروح مستوى بدائى، ويمكن أن تقطنه «أشكال عقلية» لأرواح مختلفة أو غير متطورة بمقدورها أن تتخذ كل صور الفخاخ أو الشراك التى تصادفنا فى «الكابوس».

وبالتالى فلا يستبعد أن يكون قد ظهر للشاب سوبهارام كائن حقود يكرهه لروابط «كارمية» متوارثة من حيوات قديمة، وإنه أراد الإنتقام منه، وظل متحينًا

فرصة إحتضاره لتصفية حسابه القديم معه. وذلك بأن ظهر له فى اللحظة التى كانت الأمور لا تزال مختلطة فى ذهن سوبهارام بسبب إحتضاره، ذلك الإختلاط الذى منعه من أن يدافع عن نفسه، فظهر له عندئذ روح لطيف، أو مراقب للأحداث، فى صورة رئيس دينى، وأرشده عن المأوى الوحيد الذى قد يحميه من عدوه، وهو القوقعة التى تركها الطفل الصغير.

ومن الجائز أن يكون ذلك بمثابة إجراء وقتى حتى يزول الخطر المباشر القادم من ناحية المستوى الكوكبى المنخفض، ويتمكن سوبهارام من أن يتجه فى أمان إلى مستوى أكثر ثقافة، وأوفر حماية من ذلك المستوى المنخفض. ومن الجائز أيضًا أنه بمجرد ما دلف سوبهارام إلى جسد الطفل تعذر عليه أن ينسحب منه ثانية، وبالتالى تعين عليه أن يظل ملازمًا للأرض فى صورة جاسبر حتى يسدد ديونه الكارمية، ولحسن الحظ أن ذاكرته عن حيواته السابقة ستتلاشى تدريجيًا، كما يحدث عادة.

obeikandl.com